مجلة المعجمية - تونس

ع 7

1991

المصطلحات اليونانية واللاّتينية في كتب الأدوية المفردة المغربية والأندلسية من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجريين (من ق 10 إلى ق 13 م) *

بقلم : إبراهيم بن مراد

تُعدّ كتب الأدوية المفردة العربيّةُ أصدقَ الشواهد على ما كان بين اللغة العربيّة واللغات الأعجميّة من التداخُل في مجالات العلوم. فقد كان المؤلّفُون العربُ في الأدوية المفردة حريصين على أن يذكروا للدواء الواحد أسماء مختلفة بلغات مختلفة. وقد ذكر أبو الريحان البيروني (ت. 440 هـ/ 1048 م) في مقدّمة كتابه «الصيْدنَة» أن من علماء عصره من كان يتّخذ معاجم متعدّدة اللغات تسمى «لكسيقونات» (Lexicons) وكانت «تشتمل على غرائب اللغات وتفسير المشكل منها»(1). وقد نوّهَ هو نفسه بهذا المنحى إلى الترادُف أو المقابلة بين المصطلحات المنتمية إلى لغات مختلفة بقوله : «وفي الإحاطة باسم الدواء الواحد بصنوف اللغات فوائد»(2). وقد كان لهذه الظاهرة في كتب الأدوية المفردة من الرسوخ والتمكّن ما جعل منها قانُونًا من قوانين التأليف وشرطًا من شروطه. وقد نبّه إلى ذلك الشيخ داود الأنطاكي

---

* قدّم هذا البحث في النّدوة الدولية التي نظمتها جامعة مدريد من 9 إلى 15 ديسمبر 1990 بمدريد حول «المداخلة اللغويّة بين العربية واللغات الرومنسية في شبه الجزيرة الإيبيريّة وأمثالها في سائر اللّهجات العربية الثغريّة».

(1) ينظر : أبو الريحان البيروني : كتاب الصيدنة ، تحقيق محمد سعيد ورنا إحسان إلهي ، كراتشي، 1973، ص 15.

(ت1008 هـ/ 1599 م) في مقدّمة كتابه تذكرة أولى الألْبَاب بقولـه : «اعلَمْ أنْ كلْ واحد من هـذه المفـردات يفتقـر إلى قـوانينَ عشرة : الأول ذكـرُ أسـمائه بالألْسُن المختلفة ليعمّ نفعُه»(3) .

وإذَنْ فإنّ التداخُلَ بين اللغات في كتب الأدوية المفردة العـربيّة ظـاهـرة متميّزة. ولذلك فإنّ لهـذا الصنف من الكُتُب ـ وهي في جـوْهـرهـا معـاجمُ علميّة مختصّة في مصطلحـات المـواليـد ـ أهميّة خـاصّة لمن أراد البحث في موضـوع الاقتراض في اللغـة العـربيّة في مجـال المصطلحـات العلميّة. وتلك الأهميّة هي التي أغْرَتْنـا بـاتّخاذ هـذه الكتب مصـادر في هـذا البَحْث. إلاّ أنّ البحْثَ في موضوع اقتراض العـربيّة من اللغتينْ اليـونـانيّة والـلاتينيّة في كتب الأدوية المفردة المغربيّة والأندلسيّة يثير بعض القضايا المنهجيّة، ونريد أن نبْدأ بها فنقول فيها قوْلاً، وأهمُّها ثلاثٌ :

أولاها هي قضيّةُ اختيار المؤلّفـات المغـربيّة والأنـدلسيّة مصـادرَ. فقـد فضّلْنا هذه المؤلّفات على المؤلّفات المشرقيّة لأسباب، أهمّها اثْنـان : **أولهما** هو غَلَبَةُ الاختصـاص على كتُب المغـاربـة. ذلك أنّ الأدويـة المفـردة لم يُفْرِدْهَا المشارقةُ في الغالب بكتب مستقلّة بلَ كـانت تُـخَصُّ بـبـاب أو بمقـالـة ضَمن مُؤَلَّف عامْ في كلّـيّات الطبّ. فذلك مـا كـان ـ مثـلاً ـ في كتـاب «فـرْدَوْس الحكمـة» لعليّ بن ربّن الطبري (ت . حوالي 250 هـ/ 864 م) الذي خصّص البابَ الأولَ من المقالة الثانية من النّوع السّادس للأدويـة المفْردة والعقـاقير؛ وهو ما كان أيْضًا في «الكتاب الحاوي» لأبي بكر محمّد بن زكرياء الرازي (ت 313 هـ/ 925 م) الـذي جَعَلَ القسْمَ السـابـع منـه في صيْدَنَة الطبّ؛ وكذلك في كتاب « القانـون » لأبي علي ابن سينـا (ت 428 هـ/ 1037 م) الذي خصّص البابَ الثاني منه للأدوية المفـردة. . . الـخ. أمّا المغـاربـةُ فقـد استَنّوا سنّة أخرى كانت بينهم أغلبَ منذ القَرن الثالث الهجريّ عنـدمـا ألّف إسحاق بن عمران (ت 279 هـ/ 892 م) في القيروان كتـابًا مفْردًا خَصّ به الأدوية المفردة. وقد اتّبعه في ذلك أبو جعفر أحمد ابن الجـزار (ت 369

(2) نفسه، ص 15.

(3) الشيخ داود الأنطاكي : تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العُجَاب، القاهرة، 1340 هـ/ 1930 م (جزآن)، 1/ 18.

هـ / 979 ـ 980م) الذي ألّف في الثّلث الأول من القرن الرّابع الهجريّ كتابه «الاعتماد في الأدوية المفردة». وقد ظلّ الفصلُ بين الأدوية المفردة والحديث في كُلّيّات الطبّ غالبًا في بلاد المغرب حتى وقت متأخّر. وثاني السببين هو كوْن كُتُب المغاربة أغزرَ مادّة اقتراضيّة لانْفرادها بالاقتراض من لُغتَيْنْ أعجميّتَيْنْ ليس لهما وجود ظاهر في كتب المشَارقَة، وهما اللاتينيّة والبرْبريّة، فإن المؤلّفينَ المشارقة في الأدوية المفردة قد عُنُوا بالأخذ من اللغات التي اشتهرتْ في بلاد المشرق صلاتهُا بالعربيّة، وأهمّها الفارسيّة واليونانيّة والسريانيّة. أما البربريّة واللاتينيّة فقد اختصّت بهما بلاد المغْرب والأندلس في مجال المصطلحات العلميّة.

والقضيّة الثانية هي قضية المصادر المعتَمدة. فإنّ الفترة الزمنيّة التي حدّدناها لهذا البحْث، وهي أربعَة قرون ـ من القرن الرّابع الهجريّ الموافق للقرْن العاشر الميلاديّ إلى القرن السابع الموافق للقرن الثالث عشر ـ كانت عصْر ازدهار التأليف في الأدوية المفردة في بلاد المغْرب والأندلس. وقد نَيّفَ عدَدُ الكتب الموضوعة في الأدوية المفردة في تلك الفترْة على العشرين كتابًا، وقد اطّلعْنَا منها على أحد عشر بين مخطوط ومطبُوع، وهذه ستكون مصادرَنا في هذا البحْث. وهي صنفان كبيران : **أولهما** تمثّله كتبٌ عامّة تامّة في الأدوية المفردة، وعددُها خمْسة، وهي «كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة» لابن الجزار القيرْواني(4)؛ و «الكتاب المستعيني في الأدوية المفردة» ليونس بن اسحاق بن بكلاريش (ت. بعد 503 هـ / 1109 ـ 1110م) (5)؛ وكتاب «الادوية المفردة» لأبي جعفر احمد بن محمّد الغافقي

---

(4) كتاب الاعتماد في الأدوية المفْرَدَة ، لأبي جعفر أحمد ابن الجزار القيرواني ، تحقيق إبراهيم بن مراد (اعتمادا على خمس مخطوطات، وخاصة مخطوطة آيا صوفيا رقم 3564 ـ والتحقيق تحت الطبع).

(5) الكتاب المستعيني في الأدوية المفردة ليونس بن إسحاق بن بكلاريش ، مخطوطة المكتبة الوطنية بتونس رقم 3575. وقد حقّقت منه آنالابرطا ـ (Ana Labarta) مقدمته وترْجَمتها الى الإسبانية : Ana Labarta: El Prologo de "Al Kitâb Al Musta'înî" de Ibn Buklâris (Texto arabe y traduccion anotada) - in "Estudios sobre Historia de la Ciencia Arabe", Barcelona, 1981, pp. 183-316.

(ت 560 هـ / 1165 م) (6)؛ وكتاب «عُمْدَة الطبيب في معرفة النّبات لكلّ لَبيب» لمحمد بن أحمد بن عبدون الاشبيلي (7)، من علماء القرن السادس الهجري؛ وكتاب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لأبي محمّد عبد الله بن أحمد ابن البيطار (ت 646 هـ/ 1248 م) (8). على أنّ كتابَ ابن عبدون في المادّة النباتيّة، ويكاد الوصف النباتيّ المحْضُ يغلُب عليه؛ أمّا كتابُ الجامع لابن البيطار فقد أُلّفَ في مصر. **والصنف الثاني** من الكتب شروحٌ أو تعاليق على كتب أخرىَ، وعددها ستّة، ثلاثة منها في تفسير مصطلحات «المقالات الخمْس» لديوسقريديس العين زربي (9)، وهي «تفسيرُ أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس» لابي داود سليمان بن حسّان بن جلجل (ت بعد 384 هـ / 994 م) (10)، و « شرح لكتاب دياسقوريدوس» لمؤلف أندلسي مجْهول، وَضَعَهُ في نهاية القرن السادس الهجري (11)، ومن المُرجّح أنّه لأبي العبّاس أحمد ابن الرومية النباتي (ت

---

(6) كتاب الأدوية المفردة لابي جعفر أحمد الغافقي ، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، رقم ق 155 (200 ورقة). وقد حقّقْنا مقدّمتَه ونماذجَ من شروح باب الألف ـ ينظر : إبراهيم بن مراد : «أبو جعفر أحمد الغافقي في كتاب الأدوية المفردة، دراسةٌ في الكتاب وتحقيق لمقدّمته ونماذج من شروحه» ـ في مجلّة معهد المخطوطات العربيّة (الكويت)، 30/1 (1986)، ص ص 157 ـ 210.

(7) اعتمدنا منه عمل آسين بلاثيوس : Asin Palacios (Miguel): Glosario de voces romances registradas por un botanico anonymo Hispano-musulman (siglos XI-XII), Madrid, 1943 (LIV + 420 p)

(8) أبو محمّد عبد الله بن أحمد ابن البيطار :كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية،طبعة بولاق، 1291 هـ/ 1874 م (4 أجزاء).

(9) يُنْظَرُ حول انتقال مقالات ديوسقريديس إلى العربيّة بحثُنا « إنْتقَال مقالات ديوسقريديس إلى الثقافة العربية ترجمةً ومراجعةً وشرحًا» ضمن كتابنا دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987 (399 ص)، ص ص 227 ـ 270.

(10) اعتمدنا منه مخطوطة المكتبة الوطنيّة بمدريد رقم 4981 (11 ورقة).

(11) شرح لكتاب دياسقوريدوس في هيُولىَ الطبّ ، وضعه مؤلف مجهول في القرن السادس الهجريّ، حقّقه ونقله إلى اللغة الألمانيّة وعلّق عليْه ألبرت ديتريش (Albert Dietrich) ، غوتنجن، 1408 هـ/ 1988 م (قسمان : 216 + 752 ص).

637هـ / 1239 م) (12)؛ وكتاب «تفسير كتاب دياسقوريدوس» لابن البيطار (13). وأمّا الكتب الثلاثة الباقية فهي كتاب «مُفيد العلوم ومُبيد الهموم » لأبي جعفر أحمد بن الحَشّاء (ت. حوالي 647 هـ / 1249 م)، وهو مُعْجم في تفسير المصطلحات الطبيّة الواردة في «الكتاب المنْصوري» لابي بكر الرازي(14) ؛ ثم كتابُ «الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام» لابن البيطار، وهو في نَقْد كتاب «منْهَاج البيَان فيما يستعمله لإنسان » لأبي علي يحْيى ابن جزلة البغَدادي (ت 493 هـ / 1100 م) (15). وأمّا الكتاب الأخير فهو «شرح أسماء العقار» لأبي عمران موسى بن عبيد الله ابن ميمون القرطبي (ت. 601 هـ / 1204 م) (16). وهو ليس في شرح كتاب بعينه بل في شرح أسماء العقاقير المشْكلَة الواردة في جُمْلَة من كتب الاندلسيّين في الأدوية المفردة (17)، وخاصّة كتب ابن جلجل وأبي بكر حامد ابن سمجون (ت 392هـ / 1001م) وأبي الوليد مروان ابن جناح (ت. حوالي 432هـ / 1040 م) وأبي المطرّف عبد الرحمن بن وافد (ت 467هـ / 1075م) وأبي جعفر أحمد الغافقي. وهذه الكتب الأحدَ عَشرَ ستكون مصادرنا، إلاّ أنّ بحثنا فيها ليْسَ بالاستقصائي، بل سنعتمد منها عينات ممثلة.

---

(12) هو رأي الاستاذ ألبرت ديتريش، ينظر خاصة : EI2, Supplément, p. 397 .

(13) ينظر : تفسير كتاب دياسقوريدوس لأبي محمّد عبد الله بن أحمد ابن البيطار ، تحقيق إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت وبيت الحكمة بتونس 1990 (432 + V ص).

(14) مُفيد العلوم ومُفيد الهموم ، وهو تفسير الألفاظ الفنّيّة واللغويّة الواقعة في الكتاب المنصوري للرّازي، تحقيق س. كولان (G.S Colin) و. هـ. ب رنو (H.P. Renaud) الرباط 1941 (163 ص).

(15) توجَدُ منه مخطوطة في مكتبة الحَرَم المكّي، رقم 36 (1) طبّ (80 ورقة).

(16) شرح أسماء العقار لأبي عمران موسى بن عُبَيْد الله ابن ميمون القرطبي ، حقّق النصّ العربيّ وترجمه إلى الفرنسيّة وعلّق عليه ماكس مايرهوف (Max Meyerhof) المعهد العلميّ الفرنسيّ للآثار الشرقيّة، القاهرة، 1940 (69 + 258 + L X X V I ص).

(17) نفسه ، ص ص 3 ـ 4.

وثالثة القضايا تخصّ اللغتيْـن المدروستَـيْـن، فإن اليونانيّة واللاتينيّة في مصادرنا تحملان أكثر من اسم، وتلك الاسماءُ تتداخل تداخلاً كبيرا دَالاً على التداخل بين اليونانيّة واللاتينيّة نفسها. وقد استقرأنا خمسة من مصادرنا ـ هي الاعتماد لابن الجزار، والمستعيني لابن بكلاريش، والأدوية المفردة للغافقي، والشرّح لابن ميمون، والتفسير لابن البيطار ـ فوجدْنا ثماني تسْميات للدلالة على اللغتيْـن مجتمعتيْـن. وتلك التسميات هي «اليونانيّة»، وقد استُعْملَت في المصادر الخمسة، و «الروميّة»، وقد استعملت فيها جميعا أيضًا، ثم «العَجَميّة»، وقد استعملَها ابنْ الجزّار والغافقي وابن ميمون وابن البيطار، ثم «اللطينيّة»، وقد استعملَها الغافقي وابن ميمون وابن البيطار، ثم «عجمية الأندلس»، وقد استعملَها ابن ميمون وابن البيطار، ثم «العجمية العامية»، وقد استعملَها ابن بكلاريش، ثم «اللطينيّ العامّي»، وقد استعملها ابن البيطار، ثم «الافرنجية»، وقد انفرد باستعمالها ابنُ البيْطار أيضا(18)، فتلك إذن ثماني تسميات ليس منها إلاّ تسمية واحدة واضحَةُ الدلالة هي «اليُونَانيّة» التي استعملت في المصادر الخمسة للدلالة على اللغة اليُونانيّة الكلاسيكية كما عرفها العربُ في كتب ديوسقريديس وجالينوس خاصّة. أمّا بقيّة التسميات فمختلَفٌ في دلالاتها، فالروميّة مثلا مصطلح قد أكثَر ابن الجزار من استعماله مرادفا لليُونانيّة في أكثر الأحيان ودالاً على اللاتينيّة في أحيان أخرى، أو هُو يطلقه على مصطلحات مشتركة بينْ اليونانية واللاتينية في بعض الأحيان. ومن أمثلة ما دلّ على اليُونانية قولُه عن الورد

---

(18) وقد سبقه إلى استعمال هذه التّسمية اصطفن بن بسيل وحُنَيْنْ بن إسحاق في ترجمة كتاب ديوسقريديس «المقالات الخمس». وقد نَقَلَ بها المترجمان مصطلح "Rhômaisti"اليونانيّ ومعْناه «باللّغة الرومانيّة»، أي باللاتينيّة. ومن أمْثلة استعمال «الإفرنجية» في ترجمة «المقالات» قول المترجمينْ في مادّة «قودنيا [ميلا]» (Kudonia mêla) ، وهو السّفرجل : «وأمّا الذي يقال لهُ أبيروطيقا وهو الذي يقال [له] بالإفرنجية أربيقلطا فإنه جيّد للمعدة» (ينظر : المقالات الخمس، تحقيق قيصر دبلار (C. Dubler) وإلياس تراس (E. Teres)، تطوان ـ برشلونة، 1957، 180 + 626 ص، 112)؛ وقولهما في مادة «برسيقا» (Persika)، وهو الخوخ : « ويقال له بالافرنجية برافوقيا » (نفسه، ص 113) ؛ وقولهما في مادّة «أرمانيقا» (Armenika)، وهو المشمش : «وقد يقال له برميقا وقذروميل، وبالإفرنجية قيطريا» (نفسه، ص 113). والمصطلحات المسماة افرنجية هي مصطلحات لاتينية، فإن أصل «أربيقلطا» باللاتينية هو "Orniculatus"، وأصل «براقوقيا هو» "Praecox" وأصل «قيطريا» «هو» "Citrea".

إنه يُسمّى بالـرومية «رُودَه» (19)، وقوله عن «الحضض» انه يسمّى بالـرومية « لُونُقْتُس» (20). والـرودة من اليـونـانيـة "Rhoda" واللونقتس من اليـونـانيـة "Lonkhitis"؛ ومن أمثلـة مـا دَلّ على الـلاتينيـة قـولُه عن السّنْبُل الـرومي إنّه يُسمّى بالروميّة «اسبيقُوه نَارْدَه» (21)، وعن الساذَج الهندي إن الروم يسمّونه «فلوَاندقه» (22)، ومصطلـح «اسبيقـوه نارده» لاتيني يقـابلُه "Spica Nardi"، ومصطلَح «فلواندقه» لاتيني أيضا يقـابلـه "Folia indica" ومعناه ورَقُ الهنـد. وأما الروميّة الدالّة على المشترك بين اليونانية واللاتينيّة فمن أمثلتهـا قـولُ ابن الجزار عن الراوند إنّه يُسمّى بالرومية «أوبَرْبَرَه» (23)، وقوله عن السليخة إنها تسمّى بالروميّة «قَسيّة» (24)، و «الاوبربره» يقابله في اليونانية مصطلـح "Rhâ barbaron"، وفي اللاتينية مصطلح "Rheubarbarum"و «القسيّة» يقابله مصطلح "Kassias" باليونانية، ومصطلح "Cassia"باللاتينية.

وهذا الاشتراك في دَلالة الروميّة على اليونانيّة واللاتينيّة نجـدهُ عنـد ابن بكلاريش (25) وعند الغافقي (26)، أمـا عنـد ابن ميمـون وابن البيطـار فـإنّ التسميات الروميّة قليلة ولا تُمكّن من اتخاذ فكرة واضحة عن دلالتهـا، ومـا يستنتج ممّا سبق هو أنّ الاصطلاح بـالـروميّة على المصطلحـات الأعجميّة في كتب الأدوية المفردة دالّ على إحـدى لغتينْ : إمّا اليـونـانيّة وإمـا الـلاتينيّة.

---

(19) ابن الجزار : كتاب الاعتماد، ص 3 و (الفقرة عدد 1).

(20) نفسه، ص 8 و (ف 19).

(21) نفسه، ص 10 و (ف 27).

(22) نفسه، ص 35 ظ (ف 121).

(23) نفسه، ص 22 و (ف 75).

(24) نفسه، ص 51 و (ف 172).

(25) ينظر : Simonet (F.J.): Glosario de voces ibericas y latinas usadas entre los Mozarabes, 2è éd, Amsterdam, 1967 (CCCXXXVI + 628 p.) - p. CXLVI.

(26) يُنْظر : إبراهيم بن مراد : المصطلح الأعجمي في كتُب الطبّ والصيدلة العربيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 (جزآن)، 1/ 148 ـ 149، والرومية في هذا الموضع دالّة على اللاتينية فقط.

ودلالة الرومية على اللاتينيّة في الحقيقة ليست بالغريبة، وقد نبّه إليْها القدماء، من ذلك ما قاله صاعد الأندلسي في «طبقات الأمم» : «وأمّا الأمّة الخامسة وهي الرّوم (. . .)، كانت بلادهم مجاورةً لبلاد اليونانيين ولغتهم مخالفة للغتهم، فلغة اليونانيّين الإغريقيةُ، ولغةُ الرّوم اللاّطينية»(27)، ونجدُ ما يقارب هذه الملاحظة عند أبي الفرج ابن العبري في «تاريخ مختصر الدول»، فقد قال «الرومُ هم الإفرنج، بلادهم مجاورة لبلاد اليونانيّين ولغتُهم مخالفة للغتهم، فَلُغَة اليونانيّين الاطيقية، ولغة الروم اللاتينية»(28). فالروم إذن هم البيزنطيّون. والروميّة كانت تطلق على اليُونانيّة البيزنطية التي خلفت الاغريقية في الامبراطورية البيزنطية، وعلى اللاتينيّة أيضا، لأن من الروم البيزنطيّين شرقيّين وعاصمتُهم القسطنطينيّة ولغتُهم اليُونانية، وغربيين وعاصمتُهم رومَةُ ولغتُهم اللاّتينية (29).

وأمّا بقية التسميات، أي العجميّة واللطينيّة وعجميّة الأندلس والعجميّة العاميّة واللطينيّ العامّي والافرنجيّة، فتدلُّ كلّها على أحد مستويَيْنْ من اللّغة اللاتينية : إمّا على اللّغة اللاتينية الكلاسيكيّة وإمّا على اللهجات المتفرّعة عنها مثل اللاتينيّة الإفريقية (30) واللاتينيّة الإسبانية التي اشتهرت في كتُب الأندلسيّين بعجميّة الأندلس (31). على أنّ مؤلّفينا لم يكونوا مدْركين

---

(27) ينظر : ابو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي : طبقات الأمم، تحقيق لويس شيخو، بيروت 1912 (124 + 10ص)، ص 23.

(28) أبو الفرج غريغوريوس ابن العبريّ الملطي : تاريخ مختصر الدول ، نشرة انطون صالحاني، ط. 2، بيروت، 1958 (346 ص)، ص 64.

(29) إبراهيم بن مراد : دراسات في المعجم العربيّ، ص 194.

(30) ذكر الشريف الإدريسي (ت 560 هـ/ 1165م) في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ط. رومة ـ نابلي، 1970 ـ 1979 (8 أجزاء)، 3/278) عن سكان مدينة قفصة بالجنوب التونسي : «وأكثرُهم يتكلم باللسان اللطينيّ الإفريقي». وينظر حول هذه اللهجة اللاّتينية : Lewicki (T.) : Une langue romane oubliée de l'Afrique du Nord", in : Rocznik Orientalistyczny, VIII (1951-1952), pp. 415-480

(31) قد فصّلْنا القولَ في «عَجَمِيّة الأندلس» ودلالتها في كتابيْنا : المُعَرَّب الصوتيّ عنْدَ العلماء المغاربة (الدار العربية للكتاب، تونس 1978. 235ص)، ص ص 64 ـ 67، والمصطلح الأعجمي في كتب الطبّ والصيدلة العربية 1/142 ـ 147.

للفروق بين اللاتينيّة وعاميّاتها، ولم يكن لتمييزهم في التسمية بينْ العجميّة والعجميّة العاميّة أو بين اللّطينية واللطينيّ العامّي قيمة لسَانيّة تذكر. والقضية مازَالَت بدُون شكّ في حاجة إلى الدراسة المعمَّقة لتَبيُّن مخْتلف ما لا يزال غامضًا من جوانبها. ونَنْظر بعد هذا في عناصر البَحْثَ الثلاثة اَلتالية :

1 ـ منزلة المصطلحات اليونانية واللاتينية :

قد سبق لنا أن درسْنَا منزلةَ **المصطلح الاعجميّ** في ثلاثة من كتُب الأدوية المفردة المعتمَدَة في هذا البحث مصادر ـ وهي كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة لابن الجزار (32) وكتاب الأدوية المفردة للغافقي (33) وكتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار (34). وقد أظهرت لنا الدراسةُ النتيجتينْ التاليتينْ :

الاولى هي أهمية مَنْزلَة المصطلحات الأعجمية ـ عامّة ـ في المصادر الثلاثة. وقد اعتمدْنا في الإحصاء على المصطلحات المدَاخل ـ أي عناوين الموَادّ ـ وليْس على المقابلات الأعجمية المثبتة في التعريفات. وَقد وجدْنا عند ابن الجزار 176 مصطلح أعجميّ مقترض من جملة 278 مصطلح قد اشتمل عليها الكتاب، فكانت نسبةُ المقْترَضَات 63،31٪، ونسبَةُ المصطلحات العربيّة الخالصة 36،69٪؛ ووجدنا عند الغافقي 1153 مصطلح أعجميّ مقترض من جملة 1772 قد اشتملت عليْها أقسام الكتاب الستّة الأولى، من الألف حتى الواو بحسب الترتيب الأبجدي، وكلّ باب من أبواب الكتاب مقسَّمٌ إلى قسمينْ : أولهما في الحديث عن ماهيّات العقاقير وثانيهما في شرْح الأسماء الغريبة والمجهولة التي وردت في الأقسام الأولى من الأبواب على الحَرْف المقدّم. ونسبة المصطلحات الأعجمية من جملة مصطلحات الكتاب

---

(32) ينظر بحثْنا «التداخل اللغويّ والثقافيّ في كتاب الاعتماد لأحمد ابن الجزار القيرواني» ضمن كتابنا دراسات في المعجم العربي، (ص ص 25 ـ 153)، ص ص 42 ـ 55.

(33) ينظر ابراهيم بن مراد : المصطلح الأعجمي، 1/ 151 ـ 158.

(34) نفسه، 1/ 202 ـ 213.

المداخل 65،07٪؛ ثم وجدْنا عنْد ابن البيطار في كتاب الجامع 1082 مصطلح أعجميّ من جمُلة 2353 مصطلح مدْخَل قد اشتمل عليها الكتاب، وكانت نسبة الأعجميّ من المصطلحات 45،89٪، وكانت نسبَةُ العربيّ الخالص أقوى لأنها بلغت 54،02٪، ممثّلة لواحد وسبعين ومائتينْ وألْف مصطلح. وقد كان لتأخّر ابن البيطار في الزّمن عن ابن الجزّار والغافقي أثرٌ في تراجع نسبة الاقتراض وتنَاقُص أهميّته.

والنتيجة الثانية هي أن اللغَات التي أقْرَضَت العربية في مجال الأدوية المفردة كانت ذات منزلات متفاوتة. وقد بلغ عدد اللغات المقرضة عند ابن الجزار تسعًا تتقدمُها اللغتان الفَارسيّة واليُونَانيّة، وعدد مصطلحات الأولى 105، وعدد مصطلحات الثّانية 48، فكانت نسبةُ الفارسيّة 59،65٪، ونسبة اليونانيّة 27،27٪، ثم توَزَّعَتْ بقيَّةُ النّسب ضئيلةً على بقيّة اللغات، ومنها اللاتينيّة التي كانت نسبتُها 1،14٪ لان المقترض منها في مُستَوى المدَاخل مصطلحان فقط. على أن نسبة المصطلحات اليونانيّة والرّوميّة والعجميّة اللاتينيّة ضمْن موادّ كتاب الاعتماد مهمّة جدا، فقد احصيْنا الموادَّ العربية والمعرّبة التي رُودفَتْ أو قُوبلَتْ بمصطلحات يونانيّة أو رُومية أو لاتينيّة فوجدْنا اثنينْ وسبْعين مصطلحًا، وقد يُقَابَلُ المصطلح الواحدُ عنده بمصطلحين اثنينْ يكون أحدُهما يونانيّا أو روميّا ويكون ثانيهما لاتينيّا أو لاتينيّا عاميًا.

أما عند الغافقي فقد بلغَ عدد اللغات المُقْرضَة إحْدى عَشرْةَ لغةً، تتقدّمُها أربعُ لغات هي اليونانيّةُ وعدد مصطلحاتها 744، بنسْبة 64،53٪، ثم الفارسيّةُ وعدد مصطلحاتها 218، بنسبة 18،91٪ ثم الهنديّة وعددُ مصطلحاتها 80، بنسبة 3،99٪. فقد تقدّمت اليونانيةُ عند الغالفقي اللغةَ الفارسيّة تقدّمًا طاهرًا، وسبب هذا التقدّم الأساسيُّ غَلَبَةُ المصطلحات المداخل اليونانيّة في الأقسام التفسيريّة من أبْواب «الأدوية المفردة»، إذ المصطلحَات اليونانيّة هي المعدودَةُ من الأعجميّ الشديد العجْمَة، الذي يَقْتَضي الشرْحَ والتفسير. وتتنَزّل اللغة اللاتينية عنده في المرتّبة الرابعَة بعد اللغَة الهنْديّة، لكنّ المصطلحات اللاتينيّة مبثُوثَة في ثنايَا التعاريف بكَثْرة لشرْح المصطلحات الفارسيّة واليونَانيّة.

فاذا انتقلْنَا إلى كتاب الجامع لابن البيطار وجدْنا إحدى عشرْة لغة مُقْرضَة أيضا، تتقدّمها الفارسيّةُ وعدد مصطلحاتها 454، بنسبة 41،96٪، وتتلوها اليونانية وعدد مصطلحاتها 428، بنسبة 39،56٪، ثم تأتي اللغة اللاتينيّة في المرتبة الثالثة، وعدد المقترضات منها ستّون مصطلحا، بنسبة 5،55٪. على أن للغة اللاتينية عند ابن البيطار أيضا، في ثنايَا الموادّ، منزلةً مهمة. وقد كان للمصطلحات اللاتينية منزلة ظاهرة في «تفسير كتاب دياسفوريدوس» أيضا.

ويُستَخْلَصُ مما سبق أن اللغات الأعجمية الأكثر تميّزا والأقوى منزلة في كتب الأدوية المفردة المغربيّة والأندلسيّة ممثّلة بكتاب الاعتماد لابن الجزار وكتاب الأدوية المفردة للغافقي وكتاب الجامع لابن البيطار، هي الفارسية واليونانيّة واللاتينيّة. إلاّ أنّ بين هذه اللغات الثلاث من حيث درجة العجمة تفاضُلاً. ذلك أن اللغتينْ الفارسية واللاتينية أقلّ عُجْمة من اللغة اليونانية. فالفارسية هي لغة قوْم قد تمازجوا بالعرب تمازُجا قويّا قبْل الاسلام وبعده، وقد اقترضت منها العربية منذ العصر الجاهلي، ثم اعتُمدَتْ في عهد الترجمة ـ وخاصة في القرن الثالث الهجري ـ مثل اللغة العربية لرَفع قناع العجمة عن المصطلحات اليونانية، وقد درسنا هذه الظاهرة من قبل بالاعتماد على ترجمة كتاب ديوسقريديس «المقالات الخمس»(35). فقد أنجز هذه الترجمة اصطفن بن بسيل وأستاذه حنين بن إسحاق في أيّام الخليفة العباسي جعفر المتوكل (232هـ/ 847م ـ 247هـ/ 861م) وقد عَرّبَا في ترجمتهما مصطلحات يونَانيّة كثيرةً بمصطلحات فارسيّة (36)، فقد وُظّفَت المصطلحات الفارسية فيّ ترجمة مقالات ديوسقريديس توظيف المصطلحات العربية الصرف لرفع قناع العجمة عن المصطلحات اليونانية.

---

(35) يراجع التعليق 9.

(36) من أمثلة هذه الظاهرة في المقالات الخمس ترجمة اصطفن بن بسيل وحنين بن اسحاق مصطلح «أغنس» (Agnos) اليونانيّ بالمصطلح الفارسيّ «بنجكست» (ص 98)؛ ومصطلح «قاسطوريون» اليونانيّ (Kestorion) بالمصطلح الفارسيّ «جندبادستر» (ص 155)؛ ومصطلح «أ امولن» (Amulon) بـ «نشاشتج» (ص 180)؛ ومصطلح «أوقمن» (Ôkimon) بـ «باذروج» (ص 205)... الخ. وتُنظَر أمثلةٌ من هذه الظاهرة في كتابنا دراسات في المعجم العربي، ص ص 234 ـ 235.

أما اللغة اللاتينية فقد كانت في بلاد المغرب والأندلس مشهورة شهرة اللغة الفارسية في بلاد المشرق، وكانت متداولة مستعملة سواء بين المُولَّدين من المسلمين أو بين المسيحيّين من سكّان البلاد الأصليّين. وقد أشار ابن البيطار الى أهميتها وأهمية اللغة البربرية في بلاد الأندلس. فقد قال في مقدمة كتاب الجامع: «وذكرت كثيرا منها (أي الادوية) بما يُعْرف به في الأماكن التي تُنْسَبُ إليها الأدويَةُ المسطورة كالألفاظ البربريّة واللاطينيّة وهي عجميّة الأندلس، إذ كانتْ مشهورةً عندنا وجاريَةً في معظم كُتُبنا» (37)، وقال في مقدّمة كتاب التفْسير: «وربّما ذَكرتُ في بعْض الأدوية ما يَليقُ به من الأسماء البربريَّة واللطينيّة إذ كانت مستعملَة في مصرْنا معْروفةً بين أهل عصرنا» (38). وهذه الشّهرة نفسُها هي التي جعلت ابن جلجل في كتابه «تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس» يُعَرّبُ المصطلحات اليُونَانيّة المَجْهُولة بمصطلحات لاتينيّة (39)، مُوظّفًا اللاتينيةَ ـ بذلك ـ توظيفَ العربيّة لرفْع العُجْمَة عن اليونانيّة، وناحيًا نحْوَ اصطفن وحنين في «تَعْريب» المصطلحات اليونانيّة بمصطلحات فارسيّة. فالمصطلح اللاتينيّ في بلاد المغْرب والاندلس شأنهُ شأنُ المصطلح الفارسيّ في المشرق، أقَلّ عُجْمة من المصطلح اليوناني. واللّغة اليونانيّة إذَن هي اللغة الأعجميّة بحقّ، أمّا اللغتان الفارسيّة واللاتينيّة فيمكن عَدُّهمُا لغتين إسلاميتَيْنْ ـ لاستعمالهما في بلاد الإسلام ـ قريبتين من العربيّة.

---

(37) ابن البيطار: الجامع، 3/1.

(38) ابن البيطار: تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص 109.

(39) من أمثلة هذه الظاهرة عند ابن جلجل في تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس ترجمتُه مصطلح «سيدريطس» (Sidêritis) اليونانيّ بالمصطلح اللاتينيّ الاسباني «غَلّقَرَشْتَه» (Gallocresta)، (ص 6 أ)، وترجمته مصطلح «خاما أقطي» (Khamaiaktê)،(ص 9ب)،بالمصطلح اللاتينيّ الاسبانيّ «شبُوقَه» (Sabuco) من اللاتينيّة (Sambucus)، ومصطلح «ألوبُن» (Alupon) (ص 10أ)، بالمصطلح اللاتينيّ «شلباشة» (Silvatica) . . . الخ. وتنظر أمثلة أخرى في كتابنا دراسات في المعجم العربي، ص 249.

؟ ـ غايـات الإقتراض :

مَبْحَثُ الأدوية المفـردة مبْحَث يـونـــانيّ أسـاسًا، ومـــن اليـونـانيّة دَخَـــل العربيّة، وخاصّة بترجمة كتاب «المقـالات الخمس في هيُولىَ الطبّ» لديوسقريديس الذي عاش في القرن الأول الميلادي، وكتاب الأدوية المفـردة لجالينوس الذي عاش في القرن الثاني الميـلادي. وقـد أشـادَ العلـماءُ العـرب بفضل هذيْن الرجلينْ، فقد قال عنهما ابن الجزار في مقدمة كتاب الاعتـماد : «إنّ هذيْن الرجلينْ لا نهاية وراءهما ولا غـايَةَ بعـدَهمـا فيـما عـانيـاه من هـذا الفَنّ»(40)، وقال عنهما ابن البيطار في مقدمـة كتـاب الإبـانـة «إنهـما مَدَدُ هـذا العلْم لكـلّ من انْتَحلَه وقدْوَةٌ لمن عَلمَه وحُجَّةٌ على من جَهلَهُ»(41). ولم تكن المادّة التي اعتمدها هذان العالمان ـ وَهي مـواليـدُ الطبيعة الثـلاثـة : النبـات والحيوان والمعادن ـ بمجهولة في جزيرة العرب أو بمنعدَمة منْها، فقد كـانت مَوْجُودَة، لكن لم يُيَسرْ لها الله عالـماً مثل ديوسقـريـديس يجعـل منْهـا أدْويـة وأشْفيَةً فتُصبحَ مَادّة لعَلم جديد. وقد أشار أبو الريحـان البيروني في مقدّمـة كتاب الصيْدنة إلى هذا الأمر بقوله : «وكلّ واحد من الأمم موصوفة بالتقدّم في علْم مّا أو عمل. واليونانيون منهم قبلَ النّصرانيّة مَوْسُومُون بفَضْل العناية في المَباحث وترْقيَة الأشياء إلى أشرف مراتبها وتقريبها من كمالها. ولـو كـان منهم ديسقوريدسَ في نواحينا تَصرّفَ جُهْدَهُ على تَعَرّف ما في جبَالنا وبَوادينـا لكانت تَصيرُ حشائشُنَا كلّها أدْوية، وما يجتني بحسب تجـاربـه أشْفيَةً. ولكنّ ناحية المغْرب فازَتْ به وبأمثاله وأفادَتْنَا بمشكور مساعيهم علماً وعَملاً»(42).

وما يُسْتَنْتَجُ ممّا قدّمنا أن مبْحَث الأدوية المفْردة مَبْحَث دخيلٌ في الثقافـة العربيّة. ثم هو مَبْحَث قائم على صفَات الأشياء وخصائصها لأنّ مـادّتَه كـما ذكرنا منذ حين هي مواليـدُ الطبيعـة، أيَ النبـات والحيـوان والمعـادن. ومن

---

(40) ابن الجزار : كتاب الاعتماد ، ص 2 ظ.

(41) ابن البيطار، الإبانة والإعلام ، ص 2و.

(42) البيروني : كتاب الصيدنة ، ص ص 10 ـ 11.

المعْلُوم أنّ المصطلحات الدالّة على أشياءَ تصعبُ ترجمتُها في حال انعدام الشيء المسمّى في البيئة التي تريد نقل المصطلحات الأجنبية إلى لغتها. وهذا ما حدث في اللغة العربية مثلاً مع كتاب المقالات الخمس لديوسقريديس. فقد استعْصَتْ على مترْجَمَيْه اصطفن بن بسيل وحنين بن إسحاق مصطلحات يونانية كثيرة فلم يستَطيعا نقْلَها إلى العربية وأبقَيَاها على حالها اليونانية مُقْترَضَة، اتّكَالاً منهما على أن يأتي بعْدَهما من يجَدُ للمصطلحات اليونانيّة المجهولة من يرفع عنها عُجْمتَها، وقد كثرت لذلك مُراجعات الكتاب وشروحه وتفاسيرُه وخاصّة في بلاد المغرب والأندلس، بينْ القرن الرابع والقرْن السّابع الهجريّينْ، وهذا كلّه يعني أن مصطلحات هذا المبْحث الدخيل على درجة كبيرة من الغُرْبَة اللغوية لغَلَبَة العُجمة عليْها. وعن هذه الظاهرة ذاتها نشأت غايَاتُ الاقتراض الأساسيَةُ في كتب الأدوية المفردة. ونكتفي من تلك الغايات بذكر ثلاث ظاهرة.

وأولاها هي مَلْءُ الخَانَات الفارغَة في المعجم العلمي العربيّ المختص. فمادام المبْحَث دخيلا، ومادامت المصطلحات المستعملة فيه أعجميّة فإنّ الاقتراضَ هو الوسيلة المُجْدية ـ في مرحلة أولى على الأقل ـ لسَدّ الثغرات المصطلحيّة الموجُودة في العربيّة في المبحث المعنيّ، ولذلك فقد كان الاقتراضُ في القرنينْ الثالث والرّابع خاصّة أهمّ وسيلة لما يُسمّى بالتّوليد اللغويّ. وقد كانت اللغة اللاتينيّة في بلاد المغرب والاندلس ـ كما ذكرنا من قبل ـ مُوظّفة لرفْع العجمة عن المصطلحات اليونانيّة. وقد استقرّ كثير من المصطلحات اليونانيّة التي لم يُوجَدْ لها في العربيّة أو في اللغات الأعجمية الإسلاميّة ـ وخاصة الفارسيّة والبربريّة ـ مقابلات تدلّ عليْها، فاستُعْملَت في معاجم الأدوية المفردة المغربيّة والأندلسيّة واتّخَذَتْ حيّزَهَا في المُعْجم العلميّ العربيّ المختصّ، ومن أمثلتها مصطلحات «الأسطوخودوس» (43) (Stoikhàdos) و «الجنطيانا» (44) (Gentianē) و

(43) ينظر : ابن الجزائر : كتاب الاعتماد، ص 14 و (ف 45)؛ وابن البيطار : الجامع ، 1/24.

(44) ينظر ابن الجزار : كتاب الاعتماد، ص 45ظ (ف 161)؛ وابن البيطار : الجامع ، 1/170.

«الفراســـيون» (45) (Pràsion) و «الفو»(46) (Phû)و «القنـطوريـــــون» (47) (Kentaurion) و «الـكـــهادَرِيُـــوس» (48) (Khamaidruos) و «الكهافيطوس» (49) (Khmaipitus) . على أنّ من المصطلحات اللاتينيّة أيضًا ما دلّ على أشياء قد اختصّت بها البيئةُ المغربيّة وخاصّة الاندلسيّة فلم يكُن لها في اليونانيّة أو في العربيّة ما يقابلها، فاتّخَذَتْ هي أيضا حيّزَهَا في المعجم العلمّي المختصّ شأنُها شأنُ المصطلحات اليونانيّة السـابقـة الـذكـر، ومن أمثلتهـا في كتاب الجامع لابن البيطار مصطلحات «بلخْتـه» (50) من اللاتينيّة *†(Plecta) و «قُلْلُجَه» (51) من الـلاتينيّة الإسبـانيّة †(Colleja)من الـلاتينيّة (Caulicula)؛ و «منّيرَه» (52) من اللاتينيّة الإسبـانيّة (Mannaria)؛ و «مُورقَا» (53) من اللاتينيّة الاسبانيّة (Maurica) و «يَرْبَه شَانَه» (54) من اللاتينيّة (Herba Sana) . . . الخ.

وثانيةُ الغايات هي دَعْمُ المصطلح العربي أو إعمَاده. ذلك ان المصطلـح العربيّ يعتبر بالقياس إلى المصطلح اليونانيّ والمصطلح الفارسيّ أيضا مصطلحًا ناشئًا، وإن كان من ألْفَاظ اللّغة القديمة، ذلك أنّ انتقالَه من مجال اللّفْظ ذي الدلالة اللغويّة العامّة إلى مجال المصطلح ذي المفهوم الاصطـلاحي الخـاصّ ـ وخاصة إذا أُطْلقَ على مسمّى ذي خصائص علاجية بعيْنها وماهيّة معلومـة ـ

---

(45) ابن الجزار : كتاب الاعتماد، ص 36 و(ف 122)؛ وابن البيطار : الجامع، 3/159.

(46) ابن الجزار : كتاب الاعتماد، ص 10 و (ف 28)؛ وابن البيطار : الجامع، 3/168 ـ 169.

(47) ابن الجزار : كتاب الاعتماد، ص 37 ظ ـ 38و (ف 131)؛ وابن البيطار : الجامع ، 4/33 ـ 34.

(48) ابن الجزار : كتاب الاعتماد، ص 61 ظ (ف 204)؛ وابن البيطار : الجامع 4/80 ـ 81.

(49) ابن الجزار : كتاب الاعتماد، ص 61 ظ (ف 203)؛ وابن البيطار : الجامع 4/80.

(50) ابن البيطار : الجامع، 1/112.

(51)نفسه، 4/32.

(52) نفسه، 4/167.

(53) نفسه، 4/169.

(54) نفسه، 4/209.

يقْتَضى خُلُوصَه من التعميم الـذي كـان لـه في النصّ اللغـوي أو الشعـريّ ليكتسب دقّة المصطلـح وخصـوصيّتَهُ . ولم يكن ذلك ليتـوفّر دائما في بـادىء الأمر، وخاصّة في القرنينْ الثالث والـرابـع الهجـريّين. فقـد كـان المصطلـح العربيّ يُعْتَمَدُ في البداية ـ في مـرحلـة الترجمـة ـ لمقـابلـة مـا أمكن تـرجمتُه من المصطلحـات اليـونـانيّة، ثم أصبـح في مـرحلـة التـأليف يُسْتَعْمَلُ مـرادفًا للمصطلح اليونانيّ، فقد كانت اللغة اليونانيّة اللغة المَرْجعيّة وكـانت العـربيّة لغة معتمدةً عليْها آخذةً، فكانت المصطلحات اليونانيّة مرَاجعَ للمصطلحـات العربيّة، وكان دوْرُ المصطلح اليـونـانيّ إذا استُعْملَ في كتـاب مّا مـع مقـابلـه العـربيّ أن يُقَوِّيَ المصطلـحَ العـربيَّ ويُمكّنَ لـه ويُكْسبَه المَرْجعيَّةَ. فكـان الاقتراضُ من أجْل ذلك ضروريّا وليس منَ باب البَذَخ.

وثالثةُ الغايات يمكن تسميتُها تعميم الثّقافة أو العلم. وهذه الغايَةُ على قدْر كبير من الاهمية، لانّ المُسمّيات التي تُطْلَقُ عليْهـا المصطلحـاتُ اللغـويّة كلّها أدوية ذاتُ خصائص علاجيّة وَلها وظيفتَان مُتَناقضتَان : هما نَفْعُ البـدن أو الإضرارُ به. ولذلك كانت الدقّة والخصوصيّة في إطلاق الأسماء على هـذا الصنف من المسمّيات أوْجَبَ وأوْكَدَ حتّى لا يُخْطىء العالمُ ويُوقعَ مَن يـأخـذ عنه في الخطإ. وقد نبّه ابن البيطار إلى هذا الأمر في كتـابَ الجـامـع إثـر نقْده لحنين بن إسحاق الذي خَلَطَ بينْ ثلاثة نباتات يُطْلَقُ عليْها في اليـونـانيّة اسم واحد هو «لوطوس» ـ وهي الخَنْدقُوقَى البرّيّ والخندَقُوقَى البستـانيّ والبشنين ـ وأوقع بعْده في الخطـإ عـددًا كبيرًا من المؤلّفين فَنَسَبُوا إلى الخنـدَقُوقَى البرّيّ خصائصَ البشنين، وقـد قـال ابن البيطـار : «واعلَمْ أنّ العـالـمَ أوْلَى النّاس بالتثبُّت والاَحتيـاط لنفْسـه ولغيرْه، وقـد قـالت الحُكَمَاءُ : لاَ تُقَالُ زَلّة العَالِم لأنّه يُزلّ بزلّته العالمَ»(55). على أن العلمَاء والمثقّفين الـذين يستَعْملـون الكتُبَ المؤلّفةَ في الأدوية المفردة ويعمَلُون بما فيها من علْم لا ينْتَمُون إلى جماعة لغويّة واحدة، فهم في الغالب مُسْلمون، وهم في الغَالبّ يعرفـون اللّغـة العربيّة، لكنّهم ـ إن كـانـوا عجَمًا ـ كـانـوا بلغـاتهم الأصليّة أعْلَمَ وخـاصّة إذا كـانُوا

(55) نفسه، 2/40.

يعيشون في أصْقاعهم وأمْصَارهم، وهذا يَعْني أنّ معرفتَهم بأسْمَاء المواليد التي في بيئاتهم تكُونَ أمْتَن وأقْوى. وهذا كَان من أهمّ الاسْبَاب التي جعلت المؤلّفين المغاربَةَ والأندلسيين يُكْثرون من ذكر المصطلحات البربريّة واللاتينيّة ضمْن التعاريف فكانت وظيفَةُ المصطلحات اللاتينيّة المقترَضَة لمرادفَة المصطلحات العربيّة أو اليُونانيّة هي تعْريفَ المستعْملين للكُتُب ـ من المُولّدين خاصّة ـ بحَقيقة المسمّى وماهيّته.

3 ـ تصنيف المقترضات :

المقْترضَاتُ في اللّغة العربيّة عامّة صنفَان : أولهُما هو ما أخْضعَ لمقاييس العربيّة وأوْزَانها، وهذا يسمّى المُعَرَّب، وثانيهما هو ما استعْصىَ عَلى القيَاس فحافظ على قليل أو كثير من مظاهر عُجْمَته، وهذا يُسمّى الدخيل، وَالحقّ أنّ علماءَ الأدوية المفردة العرب بصَفة عامّة لم يُعْنَوْا عنايةً كبيرةً بتعريب المصطلحات الأعجميّة اليونانيّة واللاتينيّة بإخضاع ما غلَبَتْ على بنْيَته العُجْمَة للأقيسَة العربيّة وأوزَانها، فهم لم يكونُوا لُغَويّين يعْنَوْنَ بجمال اللّغة بَل كانوا علمَاءَ يعبرّون عن العلْم بلُغَته ومصطلحاته في مجتمع إسلاميّ عريض واسع. وقد كان لهذا المَنْزَع إلَى المحافظة على البُنَى الأعجمية للمصطلحات أثرُه إذ نجد في معاجم الأدوية المفردة أشكالاً غريبَة حاملة لعناصر عُجْمتها. ومن أمثلة المصطلحات اليونانيّة الدخيلة نذكُر مصطلحات « أونُوبْرُوخيس » (56) (Onobrukhis)و «بَارسْطَاريُون» (57) (Peristèreon) و«بنطافلُن» (58) (Pentaphullon) و «بُولامُونْيُون» (59) (Polemonion) . . . الخ. ومن أمثلة المصطلحات اللاتينيّة

---

(56) نفسه، 1/67.

(57) نفسه، 1/83.

(58) نفسه، 1/116.

(59) نفسه، 1/124.

مصطلحات «أومَهْبُونُه» (60)(Homo-bonus) و «أرشْتُلُوجْيَة» (61) (Aristolochia) و«أسفَارَاغُش» (62) (Asparagus) و «بـشَلْشكَة» (63) (Basilisca) و «بُبرُألَهْ» (64) (Bobrella) . . . الخ .

على أن علماءنا قد حاولُوا الإنقاصَ من دَرَجَة العُجْمة في المصطلحات اليونانيّة واللاتينيّة بوسيلتينْ: أولاهُمـا هي التعريبُ الصَّوْتيّ إذ هم قـد عَرّبُوا كلّ الأصوات التي لا مقابلَ لها في العـربيّة وهي "G" و "P" و "V" ، فكانت المصطلحات الأعجمية اليونانيّة واللاتينيّة إذن معرّبَة صوتيًّا تعريبًا تامًّا؛ وقـد غلب حرفُ الغَينْ في تعريب حرْف "G" ، وحرفُ البَاء في تعريب حرفيْ "P" و "V" . وأمّا الوسيلَةُ الثانية فدلاليّة إذ أنّ مؤلّفينـا ـ وخـاصّة ابنَ الجـزّار وابن عبدون والغافقيّ وابن البيطار ـ كثيرُو الاعتماد على ترْجمَة معاني المصطلحـات الأعجميّة ترجمةً حرفية لتقريب مفاهيمها وتسهيل فهْمهَا وإدْرَاكها. والأمثلـةُ على هذا المنْحَى كثيرة جدّا، نكتفي منها بأمثلة من ابنَ الجزار وابن البيطـار. فقد قـال ابنُ الجـزّار عن مصطلـح «سَنْت قَابده» (Centum Capita) إنّ تأويلَه «مائَةُ رَأس» (65) ؛ وقال عن مصطلـح «أومهَبـونُه» (Homo-bonus) إنّ تأويلَه «رَجُلٌ صالح» (66) ؛ وقـال عن «فُلُوَانْدقـه» (Folia indica) إنّ تأويلَه «ورَقُ الهنْد» (67). وقـال عن مصطلـح «بطْرُولَاين» (Petraelaion) إنّ تـأويلَه «دهن الحَجَر» (68) . ومن أمثلـة هـذه الظـاهـرةَ عنـد ابن البيطـار قـولُه في كتـاب

---

(60) ابن الجزار، كتاب الاعتماد، ص 39 ظ (ف 138).

(61) الغافقي : الأدوية المفردة، ص 115.

(62) نفسه، ص 123.

(63) ابن البيطار : الجامع ، 1/96.

(64) نفسه، 1/83.

(65) ابن الجزار : كتاب الاعتماد، ص 10 و (ف 28).

(66) نفسه، ص 39 ظ (ف 138).

(67) نفسه، ص 35 ظ (ف 121).

(68) نفسه ، ص 76 ظ (ف 243).

«التفسير» إنّ معنى «أوذَرّوبَاباري» (Hudropéperi) «فُلْفُل المَاء» (69)؛ ومعْنَى «أنْبَالُفْرَاسُن» (Ampeloprason) «كَراث كرْمي» (70)؛ ومعْنَى «قَالاَمَغْرُسْطُس» (Kalamagrôstis) «ثيل قصبيّ» (71)؛ ومعْنى «ميقن أفروذس» (Mêkôn aphrôdês) «خشْخَاش زَبَدي» (72) . . . الخ.

ولقد كان لهذه الوسيلة الثّانية أثر مهمّ في إثراء المعْجَم العلميّ العربيّ المختصّ في القديم لكثْرة الاعتماد عليْها في نَقْل المصطلحات الأعجمية إلى العربيّة، وخاصّة في معاجم الأدوية المفردة، فإنّ المصطلحات في هذه المعاجم دالّة في الغالب على أشياءَ ـ هي أعْيَانُ المواليد ـ يصْعُب في حال انعدام أسْمَاء عربيّة صرْف لها تجريدُ مفاهيمَ منها للاصطلاح عليْها بها اصطلاحًا عربيًا خالصًا. عَلىً أنّ هذه الوسيلة كانت أقلّ من الاقتراض أثرًا لضعف منزلتها. ثمّ إنّ الترجمات الموضوعةَ لمعاني المصطلحات الأعجمية لم تكُن ذَات قيمة مرْجعيّة. فلم تُتّخَذْ ـ إلاّ قليلا ـ مصطلحات ذَات تميّز في الدلالَة يُمكّنُ لها في الاستعمال فتُعَوّض المصطلحات الأعجمية وتقومُ مقامها (73).

---

(69) ابن البيطار : تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص 197 (ف 2 ـ 144).

(70) نفسه، ص 194 (ف 2 ـ 134).

(71) نفسه، ص 280 (ف 4 ـ 28).

(72) نفسه، ص 294 (ف 4 ـ 67).

(73) يتنزل المصطلح الأعجمي في كتب الأدوية المفردة الصرْف في بلاد المغرب والأندلس ، وخاصة في كتاب الأدوية المفردة للغافقي وكتاب الجامع لابن البيطار، إحدَى مَنزلتيْن : فهو إمّا أنْ يكون مَدْخَلاً معجميًا رئيسيًا يُوردُ المؤلف تحتَه أركانَ التعريف بالدواء وبخصائصه العلاجيّة، وإمّا أنْ يكون مرادفا تفسيريًا لمصطلح عَربيّ يقابله ويُتّخَذُ عوَضَه مدْخَلاً رئيسيًا. وهذه الحالة الثانية قليلة الحدُوث ما لمْ يكُنْ المصطلح العربي أصليًا قديما. أما إذا كَان ترجمة حرفيّة للمصطلح الأعجمي فإنّ الغالبَ هو إيرادُه مرادفًا تفسيريًا له. ومن أمثلة الترجمات التي استقرّت في الاستعمال وعوّضَت أصولها الأعجمية واتُّخذَتْ مداخلَ رئيسيّة عند ابن البيطار نذكرُ مصطلح «رعْي الحَمَام» الذي تُرْجمَ به مصطلح «بارسَطاريون» (Peristereon) اليونانيّ وَقَامَ مقامَه (الجامع، 1/ 83 و 2/ 144 و 3/ 155)، و مصطلح «لسَان الثور» الذي تُرْجمَ به مصطلح «بوغلصّن» (Bûglôsson) وعوّضه (نفسه، 1/ 127 و 4/ 108). ومن أمثلة

خـــلاصـــة :

تلك إذْن جـوانب من ظـاهـرة التّداخُل بينْ اللّغَة العـربيّة واللّغـات الأعجميـة في مجـال علميّ مخْصُوص هـو الأدويـة المفْردة، وفي إطـار مكـانيّ محدود هو بلادُ المغْرّب والأندلس، وفي فترة زمانيّة مغْلُومَة هي ما بينْ القـرْن الرّابع والقرْن السّابـع الهجـريّينْ (من القـرْن العـاشر إلى القـرْن الثـالثَ عشر الميـلاديّينْ). ومن أهمّ النتـائج التي انتهيْنـا إليْهـا من هـذا البحث ثـلاث : أولاها هي أهميّة الدور الذي كان للاقتراض اللغويّ في إثـراء المعْجَم العلميّ العربيّ المختصّ؛ وثانيتها هو قُدْرَةُ العربيّة على استيعـاب الثقـافَات الأعجميّة الوافدة عليْها، مَشْـرقًا ومغْرَبا، فتكونَتْ بهَا ثَقَافَةٌ علميـة بَعْد أنْ كـانت لُغَةً يكادُ دوْرُها يَنْحَصرُ في التّعْبير عن الثّقافة البدَوية التي كانـــت سَائدَة. فقـد أصْبَحَت العــربيّة إذَن لُغَةَ علميّة طيّعَةً تمكّن العلــماءَ المستعمـلـينَ لهـا مـن الإفْصاح والإبلاغ؛ وثالثَةُ النتـائج هي أنّ اللّغَة العـربيّة لم تُصْبحْ مَا أصْبَحَتْهُ من لغـة علميّة طيّعَة مُسْتَوْعَبـة للثّقَافَات الأخـرى إلاّ بفضـل مَـا كـان يسُودُ المجتمَعَ العربيّ الاسلاميّ من التفتّح والتسامُح الثقافيّينْ والحضاريّينْ، نتيجـةَ ما كان عليْه من استقلال وقوّة. فبقدْر ما يكون المجتمعُ مُسْتَقـلاّ قـويّا يكُون متفتّحًا متسامحا، وبقدْر ما يكـون ضعيفـا يكـون تقليـديّا محافظًا. ولكُلّ من الحالتَينْ الأثرُ الحاسم في حياة اللّغة.

إبراهيم بن مراد

= الترجمات التي لم تتجاوَزْ مرتبة المُرادفَات التفسيريّة نذكر مصطلح «خـانق الكـرسنـة» الـذي تُرْجمَ بـه وفُسّرَ مصطلح «أوروبنخي» (Orobankhê) اليونانيّ (الجامع، 1/68 و 2/45، وقد حُرّف المصطَلح اليونـانيّ فرسم «اورولقجي»)؛ ومصطلح «لسان الفرس»، وهو تـرجمةٌ لمصطلـح «أوبغلصّن» (Hupoglôsson) اليونانيّ (نفسه ، 1/67)؛ ومصطلح «مكثر اللبن» وهو ترجمة لمصطلح «بولوغالن» (Polugalon) اليوناني (نفسه، 1/124)؛ ومصطلحي «كثير الركب» و «كثير العقد» وقد ترجم بهما مصطلـح «بـولـوغـانـاطن» (Poluganaton) اليوناني (نفسه، 1/124 و 4/53)... الخ.